الملابس القديمة الأثر والتأثير (العراق واليمن انموذجا)

أ.د. جواد مطر الموسوي/ كلية الآداب/ جامعة بغداد
أ.م حسن حمزه جواد/ كلية الآداب/ جامعة بغداد

الملخص:

تعطي دراسة الملابس للقارئ فكرة واضحة عن طبيعة الحياة اليومية للإنسان في كل عصر ، فهي توضح الطبقات الاجتماعية وتعكس المفاهيم الفكرية للشعوب ، سلط البحث الضوء على الأثر والتأثير بين الحضارة العراقية القديمة وحضارة اليمن القديم ، مكتفيين بجانب معين الا وهو الملابس فقط ، ومتتبعين الجذور التاريخية للصلات الحضارية بين الطرفين ،كما تناول البحث الملابس المتشابهة التي ارتداها الشعبان في العصور القديمة ، مع ذكر تجارة الملابس ودورها في نقل الموروث الحضاري في العالم القديم ، فورد الكثير من التشابه بين الحضارتين، والعائد الى الصلات المشتركة والبيئة الطبيعية الزراعية لكلا من البلدين .

Abstract :-

The study of clothing gives the reader a clear idea about the nature of daily life. It illustrates the social classes and reflects the intellectual concepts of the peoples. The research highlighted the impact and influence between the ancient Iraqi civilization and the ancient civilization of Yemen, the study also dealt with similar clothes worn by the two peoples in ancient times, with exposure to the clothing trade and its role in the transfer of cultural heritage in the ancient world, there was a lot of similarity between the two civilizations, the return to the common links and the agricultural natural environment of both countries.

المقدمة

ان دراسة الملابس في الحضارات القديمة من المواضيع الممتعة والشيقة ، لأنها محاولة لتسليط الأضواء على اسهام الحرف والفنون في رقي المجتمع ، وبحثنا الموسوم (الملابس القديمة الأثر والتأثر، العراق واليمن انموذجاً) يركز على مدى التأثر والتأثير بين الحضارة العراقية واليمنية ، على الرغم من قدم الحضارة العراقية ونضجها عن الحضارة اليمنية ، ومن هنا كان سبب اختيار واهمية الموضوع، محاولين رسم صورة واضحة ضمن المنهج المقارن والمنهج الوصفي في بعض الأحيان .

تناول البحث الجذور التاريخية للصلات الحضارية بين العراق القديم واليمن القديم ، اذ سلط الضوء فيه على عمق التواصل الحضاري وتاريخه ، مع معرفة أسبابه ودوافعه ، وبيان الشواهد والادلة على الصلات المشتركة بينهما ، مع توضيح بعض الملابس التي ارتداها الشعبان ، مركزين على تلك المتشابهة منها مثل الازار وغيرها ، كما تعرض البحث الى تجارة الملابس العراقية القديمة واليمنية القديمة ، مركزين على دور الطرفين في تجارة الملابس في العالم القديم ، واهم تلك التي تاجروا فيها ، مع ذكر المواد الأولية والاصباغ ، ومتطرقين الى المواد المستخدمة في البلدين لصناعة الملابس من اصباغ او مواد خام من صوف وكتان وغيرها ، هدفنا من الدراسة هو هل كان للعراق القديم اثر واضح على اليمن القديم ؟ او العكس ؟

اعتمد البحث على عدد من المصادر والمراجع كان من أهمها مؤلفات وليد الجادر ، المختصة في دراسة الأزياء والملابس في العراق القديم ، كما اغنت البحث مؤلفات طه باقر وكتاب عارف احمد إسماعيل ، الذي تناول فيه العلاقات بين العراق وشبه جزيرة العرب، فيما يخص الاتصالات بين العراق القديم واليمن القديم ، وبشان الأخير فان اهم ما كتب عن الملابس فهو مؤلف باعليان ، الذي جاء بعنوان(الملابس في اليمن

القديم) متعرضا وبشكل بسيط الى دراسة اثر حضارات الشرق الأدنى القديم على اليمن ومنها حضارة العراق القديم ، نتمنى ان نوفق في سعينا .

أولا : الجذور التاريخية للصلات الحضارية بين العراق القديم واليمن القديم

تعود اقدم العلاقات بين شبه الجزيرة العربية وبلدان الشرق الأدنى القديم لاسيما العراق القديم الى تلك الهجرات المستمرة ، التي نزحت منها الى مناطق عدة منها الى بلاد الرافدين ، وان تاريخ تلك الهجرات موغل في القدم ، فبعض منها يعود الى نهاية العصور الجليدية ونهاية العصور الحجرية القديمة، وهناك تفاق بين الباحثين على ان سكان العراق القديم الأوائل الذين حلوا في الجزء الأسفل منه قد جاءوا من شبه جزيرة العرب[١].

اما اتصالات العراق القديم بجزيرة العرب فترجع الى اوقات سبقت ظهور التدوين ، فنسمع عن جلب سكان بلاد الرافدين الأحجار والمعادن من الجزء الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية ، اذ اشتهرت مجان (عمان) بتصدير النحاس الخام ، وتم ذكر ذلك فيما بعد في الكتابات التاريخية المسمارية ، التي خلفها سكان وملوك العراق القديم [٢]، وذكر (طه باقر) ان عمان كانت من اشهر مصادر النحاس، التي عرفها سكان العراق القدماء ، وان الجزء الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة العرب ما هو الا عبارة عن حلقة وصل وواسطة للاتصال بين حضارتين راسختين في القدم ، هما حضارة العراق القديم وحضارة مصر القديمة ، ولم يقتصر الامر على العلاقات التجارية ، بل ذكر ان هناك صلة بين السومريين وبين سكان الجزء الجنوبي الشرقي منها ، بل يرجح ان سكان هذا الجزء هم بالأساس سومريين [٣].

وورد اسم مجان (عمان) في المصادر المسمارية، اذ أشار اليها الملك سرجون الاكدي(٢٣٧١-٢٣١٦ق.م) ، بانه قد جلب منها السفن الى ميناء عاصمته اكد ، وهذا دليل على اشتهارها بصناعة السفن والملاحة ، بل يرجح ان مجان ما هي الا كلمة سومرية مشتقة من السفينة ، وتعني ارض السفن او ميناء السفن ، بسبب شهرة أهلها بذلك ، كما جاء في اخبار الملك نرام سين (٢٢٩١- ٢٢٥٥ق.م) غزوه لمجان واخضاع ملكها مانيئوم ، وعمله تمثالا من حجر الديوريت(Diorite Rock) تم جلبه من جبال مجان ، ويرجح كثيرا ان مصدر حجر الديوريت ، الذي صنع منه ملوك العراق القديم من زمن هذا الملك حتى العصور اللاحقة كان بالدرجة الأولى من مجان[٤]، كما أن هناك نصا مسماريا عثر عليه في مدينة لكش ، يعود إلى عهد الملك شلكي (٢٠٩٥- ٢٠٤٨ق.م) يذكر فيه توزيع الخبز على جماعة من بنائي السفن من مجان[٥]، اما الحاكم السومري كوديا ، فقد جلب الحجر والاخشاب منها أيضا لبناء معبده في مدينة لكش السومرية[٦].

قدمت المصادر التاريخية القديمة صورة واضحة عن استغلال العمانيين منذ العصور القديمة مميزات موقعهم الجغرافي ، عندما قاموا بدور التاجر، والوسيط التجاري بين عدد من المراكز الحضارية في العالم القديم ، مثل بلاد الرافدين، جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، دول البحر المتوسط، شبه القارة الهندية، جنوب شرق آسيا ، والساحل الشرقي لأفريقيا، والعكس، ومنذ تلك العهود لم تكن مجان (عمان) ممراً، أو معبراً فحسب بل كانت مركزاً من أهم مراكز تجارة المرور في العالم القديم، أو ما يعرف في الوقت

الحاضر بتجارة (الترانزيت) البحري، فكانت موانئها بمثابة مراكز تجارية تعج بالحركة والنشاط [٧]، وهي الحد الشرقي لليمن ، وفي بعض الأحيان تكون جزء من الحضارة اليمنية القديمة ، وهذا دليل على انها كانت مركزا لتلاقح الأفكار والحضارات بين شعوب العالم القديم .

وفي المصادر المسمارية ورد اسم (ملوخا) ملازما في الكثير من الأحيان مع مجان ، وذكر انها موضع بالقرب منها ، وهناك إقليم يدعى (ملوخ)، هو من جملة الأقاليم التي سيطرت عليه مملكة معين ، مثل قتبان وحضرموت ، وهما اليوم من ضمن حدود اليمن[٨].

اما فيما يخص اليمن القديم موضوع البحث فقد جاء ذكر حضارته في الكتابات القديمة ، منها النصوص المسمارية او المصرية القديمة ، بصورة مباشرة او غير مباشرة ، وبعض هذه الإشارات اقترنت بأصداء لها في الكتابات اليمنية القديمة ، وبقدر تعلق الامر بعلاقات اليمن القديم بالعراق القديم فهناك نصوص مسمارية تعود الى نحو ٢٥٠٠ ق.م ، جاء ذكر كلمة (Sa-bu-um) فيها ، التي زعم كاتبها انه حكم هذا البلد، ومن العصر الأكدي (٢٣٧١- ٢٢٣٠ق.م) ورد ذكر أسماء من الممكن ان تكون على علاقة بسبأ ، مثل: (Sa-bu-um) او (Sa-ba-a-a-a-a) [٩].

اتصلت الدول التي قامت في اليمن القديم ببلاد سومر وبابل واشور ، مثلما اتصلت بمناطق أخرى من العالم القديم ، وعلى الرغم من تأخر زمن النقوش المعينية وغيرها من النقوش العائدة الى بداية الالف الأول قبل الميلاد الا ان هنالك حضارة قديمة نشأت في اليمن القديم، تصل الى ابعد من هذا التاريخ ، اذ ان تلك النقوش تحتوي على إشارات قديمة تعود الى الالف الثاني قبل الميلاد ، تكشف عن اتصالات مع البابليين والاموريين ، كما ذكر (طه باقر) قيام مملكة في بلاد معين، امتدت حدودها الى الحجاز ، وازدهرت وعاصرت الدولة الاكدية في العراق القديم ، بل دخلت معها في تنافس عسكري مسلح في عهد الملك الاكدي نرام سين (٢٢٩١-٢٢٥٥ق.م)[١٠].

وتدل النصوص المسمارية على وجود علاقات اقتصادية مختلفة بين الاشوريين والسبئين خلال النصف الأول من الالف الأول قبل الميلاد[١١]، كما تشير الحقائق التاريخية الى ان الدول التي قامت في اليمن القديم، لاسيما المعينية والسبئية منها امتلكت مقار ومناطق تجارية لها وصلت حتى شمال شبه جزيرة العرب ومنها الحجاز ، ومن أهمها كانت تيماء وديدان ، ويرجح ان ما جاء من اشارات للسبئيين في النصوص المسمارية انهم السبئيون المنتشرون في هذه الجهات[١٢].

ومن تلك النصوص المسمارية نص مسماري يمكن ارجاعه الى بداية النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد ، اذ قام حاكم ماري وسوخي المدعو (نينورتا – كودوري-اوصر) [١٣]، بمصادرة ما حملته قوافل قادمة من سبأ وتيماء ، متجهة الى مدينة خندانو ، التي يرجح انها كانت عبارة عن مركز تجاري يتم فيه تفريغ البضائع وتسويقها الى أماكن أخرى مجاورة لها قد تكون بلاد اشور، سورية القديمة ، اسيا الصغرى او البحر المتوسط[١٤] ، وتم تعين موضع خندانو في الوقت الحاضر بقضاء القائم، بمحافظة الانبار في الجهة المقابلة لمدينة البوكمال السورية[١٥]. وهذا دليل واضح على وصول القوافل اليمنية الى العراق القديم ، فتبيع ما لديها

وتأخذ ما موجود في اسواقه ومدنه، وهي عملية مهمة ينتقل عن طريقها الكثير من عادات وتقاليد وثقافات الشعوب .

وكشفت التنقيبات الاثرية والكتابات المسمارية عن الكثير من الصلات والعلاقات بين العراق القديم وجنوب شبه الجزيرة العربية، تعود الى أوقات مختلفة منها الاشورية والبابلية [١٦]، احتوت على اختام اسطوانية ولقى اثرية كتبت بالخط المسند الخاص بالعربية الجنوبية ، عثر عليها في مناطق متفرقة من العراق القديم [١٧].

مما سبق يتبين ان العلاقات بين العراق القديم واليمن القديم موغلة بالقدم ، ابتدأت منذ بداية الهجرات المنطلقة من جنوب شبه جزيرة العرب الى بلدان الهلال الخصيب ومنها العراق القديم، ويتوضح ان تلك العلاقات قد حدثت بصورة مباشرة او غير مباشرة بين الطرفين، فالمباشرة منها حدثت بواسطة تلك المستعمرات التجارية المنتشرة في شمال شبه جزيرة العرب، وكذلك بحركة القوافل الواصلة الى العراق القديم او الى المناطق الخاضعة لها ، ابان فترات القوة المتمثلة بالأنظمة المركزية ، مثل الإمبراطورية الاكدية (٢٣٧١-٢٢٣٠ ق.م) وسلالة اور الثالثة (٢١١٣-٢٠٠٦ ق.م) والامبراطورية البابلية الحديثة (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) ، اما طرق الاتصال التي كانت بصورة غير مباشرة فقد لعبت مناطق مهمة في الخليج العربي مثل مجان وملوخا ودلمون دور الوسيط في نقل الموروث الحضاري بين العراق القديم واليمن القديم ، وخير دليل على تلك الاتصالات تلك اللقى الاثرية التي عثر عليها في مناطق العراق القديم، والنصوص المسمارية التي يمكن ان تكون اشارت الى سبأ وغيرها من الممالك اليمنية القديمة .

ثانيا : شواهد وادلة على الصلات المشتركة بين العراق القديم واليمن القديم

هناك الكثير من الأدلة التاريخية والاثرية التي اشارت الى وجود صلات وعلاقات بين العراق القديم واليمن القديم ، منها ما ارجعه طه باقر [١٨]الى ان الالهة المعينية يمكن ان تلقي الضوء على ذلك ، كما ذكر ان جذور الاتصال بين المعينين والسبئين مع العراق القديم عائد الى الالف الثاني قبل الميلاد، وشبه الاله (ود) عند المعينين بالإله سين (القمر)، وعثتر بالإلهة عشتار العراقية ، التي شاعت عبادتها في جنوب شبه الجزيرة العربية ، ومما يثير الانتباه عثور المنقبين في حضرموت على معبد للإله سين (القمر)، وهو شبيه بالمعابد البابلية من ناحية اتجاه زواياه نحو الجهات الأربعة ، وفي طراز مناضد الذبائح والقرابين.

وتشترك اللغة الاكدية مع اللهجات اليمنية القديمة المختلفة، منها المعينية والقتبانية والحضرمية بعدد من الصفات، احداهما استعمال السين بدلا من الهاء في الضمائر[١٩]، كما ان القتبانيين عبدوا اهم اله لديهم وهو الاله (عم)، الذي نجده يدخل في أسماء ملوك سلالة بابل الأولى (١٨٩٤ – ١٥٩٥ق.م) مثل ملكها (عمي - صادوقا) و (عمي -ديتانا) بل انه يدخل حتى في اسم حمورابي (١٧٩٢- ١٧٥٠ق.م) نفسه[٢٠].

وتعددت تأثيرات العراق القديم على اليمن القديم لتشمل الفن أيضا، اذ لاحظ (عارف احمد إسماعيل) وجود تشابه واضح وكبير في الكثير من التماثيل ، من حيث سعة العيون والرداء وغطاء الراس ، كما تشابهت

تماثيل اليمن القديم مع التماثيل السومرية ، العائدة الى الالف الثالث قبل الميلاد من حيث صغر الفم واستدارة الوجه وسعة العينين[٢١].

وفي أماكن مختلفة **من** العراق القديم عثر على لقى اثرية ، يمكن ان تعد من الدلائل المهمة على وجود علاقات قديمة بين الجانبين ، فهناك اختام وكسر جرار واواني تحمل كتابات عربية قديمة ، وجدت في جنوب العراق القديم وبالتحديد في مدينة اور ونفر والوركاء وغيرها من المناطق الأخرى ، كما عثر بالقرب من عانة في محافظة الانبار على ختم اسطواني يعود الى القرن الثامن قبل الميلاد، مدون بالعربية الجنوبية ، وفي الوركاء عثر على رقم طينية تعود الى القرن السابع قبل الميلاد، وقد دونت جميعها بالخط المسند اليمني ، ان هذه الاثار تدل على وجود جاليات عربية جنوبية قديمة تعمل على رعاية المصالح التجارية السبئية [٢٢]، كما عثر في العراق القديم على خاتم من الممكن انه يعود الى القرن التاسع قبل الميلاد ، وعليه صورة رجل يرتدي الملابس ربما اليمنية ، وفصوص من الأحجار الكريمة ، واليمن مشهورة بفصوص العقيق والجزع ، ولا يعرف كيف وصل الى هنا الا انه يرجح وصوله عن طريق التجارة[٢٣].

كما استند احد الباحثين على ما جاء في نقش النصر[٢٤] الخاص بالملك السبئي كرب ايل وتر (٦١٠ ق.م) ، على انه احتوى على تأثيرات اشورية ، سواء في المجال العسكري او ما يخص فرض العقوبات اللازمة ، اذ اتبع هذا المكرب في حروبه ضد خصومه أساليب عسكرية وتأديبية مشابهة للأساليب الاشورية المتبعة في حملاتهم العسكرية [٢٥]، وجاء ذلك عن طريق احتكاك السبئيين المباشر بتلك الممالك والقبائل العربية التي قاتلت الاشوريين[٢٦].

جاء اسم اليمن في النصوص المسمارية التي ترجع الى الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ق.م) ، اذ وردت مقترنة بإقليم (فوط لامن) (Pu-tu La-aman) أي فوط الجنوبية ، وفوط تقع في اليمن ، ومناسبة ذكرها تعود الى انتصارات نبوخذ نصر الثاني على ملك مصر احمس الثاني (اماسيس) (٥٧٠ – ٥٢٦ ق.م) ، كما ان قسما من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية كان يعرف باسم فوط ، كما ساهمت سيطرة الملك البابلي نبونائيد (٥٥٦- ٥٣٩ ق.م) على تيماء على عمق المصالح الاقتصادية المشتركة ، فما تيماء الا حلقة وصل وعقدة مواصلات بين جنوب شبه الجزيرة العربية وشمالها [٢٧]. كل ذلك يدل على ان هناك اتصال بين العراق القديم واليمن القديم ، وان هذا الاتصال يؤدي بطبيعة الحال الى انتقال الموروث الحضاري بين الجانبين ، ومن ثم لا بد من وجود اثر وتأثير في ثقافة الملابس والازياء وفنونها .

ثالثا : المواد الأولية والاصباغ

عرف سكان العراق القديم استخدام الكثير من المواد في صناعة الملابس، سواء ما كان منها نباتيا او حيوانيا، كما عرف ذلك أيضا اهل اليمن القديم ، وذلك من الممكن ان يعود الى البيئة الطبيعة المتشابهة بين البلدين ، ومن تلك المواد الكتان ، اذ صنعت من نسيجه اهم الاقمشة التي استخدمها السومري منذ عصوره الأولى ، وكان مقتصرا في البداية على الملوك والكهنة وتماثيل الالهة ، كما اختص هذا القماش بصناعة بعض الملابس ، وبزينة الراس الخاصة بالملوك السومريين، وامتد استخدامه الى الاكديين والبابليين والاشوريين[٢٨].

اطلق على الكتان من قبل السومريين لفظة (Gade) ، كما اشتهرت مدينتي اريدو واور في صناعته ، وتحت اشراف وتمويل من المعبد ، وظهرت الازر النسائية والرجالية عند البابليين وهي مصنوعة منه ، ولم يقتصر الامر على سد الحاجة المحلية بل ازدهرت صناعته وصدر خارج العراق القديم ، الى المناطق المجاورة والبعيدة ، وجاء تفضيل هذا المنسوج لبرودته في فصل الصيف ، فصنعت منه ملابس الأغنياء والوجهاء [٢٩].

اما في اليمن القديم فقد عثر علماء الاثار في مناطق مختلفة على ملابس صنعت من الكتان، اذ عثر في سنة ١٩٨٨م على مومياء ملفوفة بأشرطة عريضة وقماش من الكتان[٣٠]، كما كان استخدامه عندهم منذ القدم لنسج الملابس، وكتب في المسند نقش معيني يعود الى القرن الثاني قبل الميلاد، وعرف بلفظة (بوص)، كما يرجح (باعليان) ان زراعته في اليمن تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد او قبله بقليل ، معتمدا في ذلك على ما جاء من كتابات مصرية قديمة ذكرت استيراد مصر للكتان من (بلاد البونت) ويقصد بها اليمن القديم او جزء منه [٣١].

اما الصوف المادة الثانية التي تصنع منها الملابس ، فهو من المواد المتوافرة في شبه جزيرة العرب وغيرها من المناطق ، ويعود ذلك لكثرة الأغنام في المدن ، ومن الصوف الناعم الرقيق صنعت الملابس الجيدة والانسجة اللطيفة، وفي العراق القديم ساعدت البيئة ووفرة المياه والاعشاب القصيرة والنباتات على تربية الأغنام والاستفادة من اصوافها ، كما اشتهرت بابل بتصدير الاصواف الجيدة وازدهار تجارته فيها ، ولجز الصوف في العراق القديم مواسم معينة ، عادة ما يقام فيها الاحتفالات الخاصة [٣٢].

عد الصوف من اهم المواد المستخدمة في صناعة النسيج في العراق القديم ، ولأهميته عندهم جعلوا من جزه حدثا مهما في التقويم الزراعي بعد حصاد الحبوب ، ففي تقويم من عصر فجر السلالات(٢٨٠٠-٢٤٠٠ ق.م) يعود الى مدينة ادب وكرسو سمي شهر جز الصوف فيه بشهر(حظيرة نتف الصوف) [٣٣]، وجعلوا له الهة خاصة به وهي (نين-سيكا) (Nin-sig-ga) وهي تعني سيدة الصوف [٣٤].

كما عرف العراقيون القدماء أنواع الصوف وطرق تصنيعه[٣٥]، وذلك لذكرهم خواصه وتمييز الأنواع الجيدة منه ، التي مصدرها الخراف الصغيرة ، ومر بنا سابقا مشاركة الملك والكهنة في الاشراف المباشر على عمليات جز الصوف ، وذلك للمردود الاقتصادي لهذه السلعة الحيوية[٣٦] ، كما ان اختلاف نوع الضأن وحالته الصحية والظروف الجوية يؤدي الى اختلاف نوع الصوف المأخوذ منه ، فالضأن الصغير يقدم اجود أنواع الصوف[٣٧].

واذا عدنا الى اليمن القديم فقد عرف الصوف في المسند بلفظة (جززت) ، وهي بمعنى (كسا صوف) ، والجزز في اللغة تعني الصوف الذي لم يستعمل بعد ، كما جاء ذكره بالقران الكريم[٣٨] ، وهو دليل على شيوع استخدامه في بلاد العرب، وشاع في اليمن القديم استخدام الصوف في صناعة الملابس ، ولبسه الملوك مطرز بالفضة اثناء الاحتفالات ، والكهان في المناسبات الدينية أيضا ، وعرفت فيه عدة أنواع من الملابس الصوفية اشهرها الشملة والمرط [٣٩].

ومن المواد الأخرى المستخدمة في صناعة الملابس الحرير والقطن ، وكانت معرفة سكان العراق القديم بهما متأخرة ، كما افتخر الملك الاشوري سنحاريب بجلبه الشجرة التي تحمل الصوف لبلده لعمل الملابس منها [٤٠]، ويرجح (طه باقر) ان الأخير هو من ادخل زراعة القطن الى بلاد الرافدين ، وهي المعروفة بينهم بشجرة الصوف[٤١] ، اما اليمن فيعد من الأقاليم الملائمة لزراعة القطن، الا انه لم يتم التأكد من تاريخ زراعته لأول مرة فيه، الا ان هناك دراسات حديثة تحاول ان تثبت ان ذلك يعود الى الالف الثالث قبل الميلاد، وفي الفترات التي سبقت الإسلام فهناك مدن اشتهرت بصناعة الملابس القطنية في اليمن منها ريدة صنعاء والسحول[٤٢].

اما الألوان فقد عرف سكان العراق القديم العديد منها، ومن زمن السومريين عرف الأزرق والمخضر أي الرمادي ، ومن خلال خلط الخيوط البيضاء مع السوداء توصل السومري الى اللون الرمادي، الا ان الأكثر شيوعا كان اللون الأزرق، الذي لبسه الافراد العاديين، كما عرفوا اللون الأحمر بمختلف اطيافه، وهو عندهم رمز القوة الجسدية والنشاط، وهناك القرمزي والارجواني، الذي عرف بين البابليين والاشوريين، ودل عندهم على الرفعة والقوة، وهناك اللون الأصفر والاخضر، في حين استخدم اللون الأبيض والأسود للملابس المصنوعة من الكتان [٤٣]. ولم يقتصر استخدام الألوان في صناعة الملابس على سكان العراق القديم بل عرف العرب واهل اليمن استخلاص الاصباغ المختلفة ، ودلت الدراسات ان معرفة الأصباغ تعود الى عصور قبل التاريخ في اليمن القديم ، وفي احد الكهوف عثر على الوان مختلفة منها الأحمر بأنواعه والأبيض والرمادي ، وعرف الأحمر بالمسند بلفظة (حمرت)، كما عثر في قصور مدينة (شبوة) عاصمة حضرموت على لوحات جدارية لونت بالأحمر والاصفر والأسود والازرق، وهناك كسر لأواني فخارية عليها الوان مختلفة تعود الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، اما الملابس فمن المرجح انها كانت تصبغ قبل نسجها وهي خيوط مغزولة ، ثم تنسج الى ملابس ومنسوجات أخرى[٤٤]، كما اثبتت التنقيبات الاثرية استخدام اللون الأحمر خلال النصف الثاني من الالف الأول قبل الميلاد، من خلال قماش الكتان الذي لفت به مومياء من شبام الغراس (بالقرب من مدينة صنعاء) ، واستخدم الشب كمصدر لعدة الوان مثل الأبيض[٤٥]، كما انه كان مستخدم في العراق القديم بصفته مادة مثبته للأصباغ[٤٦].

وواضح هناك تشابه بين البلدين في الكثير من المواد الخام والألوان المستخدمة في صناعة الملابس وصبغها، وذلك ربما يعود الى تشابه البيئة الطبيعة، من حيث خصوبة التربة ووفرة المياه ، مما أتاح وفرة وغزارة في الثروة الحيوانية ، التي عدت المصدر الأساسي والمهم بما توفره من اصواف شكلت عماد صناعة الملابس في العراق القديم واليمن القديم، كما ان الألوان جاءت متشابهة.

رابعا : ملابس عرفها سكان العراق القديم واليمن القديم

هناك أنواع مختلفة من الملابس التي ارتداها سكان العراق القديم واليمن القديم ، الا ان موضوع البحث سيسلط الضوء على تلك الملابس المشتركة بين الشعبين في نوعيتها ومواد صناعتها ، ويرجح انتقالها بين البلدين بسبب عوامل مؤثرة مختلفة اشهرها التجارة او تشابه البيئة الطبيعية .

ولكن ما هو السبب الذي يجعل شعب من الشعوب يتأثر بعادات وتقاليد شعب اخر؟ ذكر احد الباحثين ان للعراق القديم الاثر الكبير في تطور الأزياء في العالم القديم، اذ كان لعواصمه ومدنه الشهيرة مثل اور والوركاء وبابل الدور الاساسي في ذلك، بل شبه دورها ومكانتها بقدر ما تلعبه العواصم الاوربية بتطوير واختراع في الموضات والازياء الرجالية والنسائية، وان سبب ذلك التأثير يمكن ارجاعه الى عدد من الأسباب والمؤثرات منها القوة والسلطة السياسية، التي كانت تمتلكها الدول والحكومات المركزية، القائمة آنذاك في العراق القديم، وبسطها لسيطرتها على شعوب مختلفة خضعت اليها وإدارت شؤونها، ويعد السلطة مؤثر كبير في تطوير وتنويع الأزياء ، فحظيت الأزياء العراقية القديمة بالتقليد من قبل الأمم المجاورة، كما انه ذكر ان السومريين والاشوريين والكلدانيين كانت لديهم نظرة مميزة نحو الجمال ونحو المرأة التي حظيت بحريتها في العراق القديم ، والحلي والاساور المكتشفة في التنقيبات الاثرية والمقدمة من قبل الرجل للمرآة العراقية القديمة تعكس نظرته الجمالية واحترامه لشخصها [٤٧]، هناك العديد من الملابس عرفها العراقي القديم واليمني القديم، منها مازال معروفا الى يومنا هذا لذلك سنتطرق الى ذكر اهم تلك الملابس التي نراها قد وجدت عند الجانبين منها:

١- الازار

قطعه قماش مستطيله الشكل غير مخيطه عادة ما تستر النصف الأسفل من الجسم ، وذلك بان تلف بحيث يطبق احد طرفيها على الطرف الاخر [٤٨]، وفي العراق القديم عرف السومري الازار ، الذي غطى وسط الجسم واعلى الفخذين ، كما اختلف في طوله الى ما فوق وتحت الركبتين ، وكان في العهد السومري اللباس المميز عند الرجل والمرأة معا ،ومنذ بدايات الالف الثالث قبل الميلاد ارتدى السومريون (المهدبات) وهي وزرات مصنوعة من القماش ، مشدودة شدا وثيقا الى وسط الجسم ، وهي في شكلها ومظهرها تقليدا لصوف الأغنام ، ومن مميزات الازار السومري انه مفتوح من الجانب او غير مفتوح ، كذلك يتميز بانه فضفاض ومنتفخ في بعض الأحيان[٤٩].

وعرفه سكان اليمن منذ اقدم العصور الى اليوم ، وله عدة أسماء مثل الفوطة ، التي لا تكون مفتوحة من الجانب ، ويرجح انها دخيلة على اللباس اليمني المحلي ، وظهر الازار على المنحوتات اليمنية المختلفة ، وكان غالبا ما يلبس منفردا بحيث يترك النصف العلوي من الجسم عاريا دون لباس[٥٠].

ويعد الازار المزخرف من اقدم أنماط المآزر المعينية ، وجد ذلك من خلال التنقيبات التي أجريت في معبد مدينة السويداء (نشان) في وادي الجوف ، عثر هناك على اعمدته نقوش لمناظر طقوسية لرجال في أوضاع مختلفة ، يعود تاريخها الى القرن الثامن قبل الميلاد ، يرتدي هؤلاء الرجال مئزر قصير يصل الى ما فوق الركبة ومثبت بحزام على الخصر ، واحاطت بأطرافه من ثلاث جهات حاشية مكونة من شريط ضيق ، وزين سطحه بإشكال مستطيلة محززه بخطوط متقاطعة ، والنصف العلوي من البدن ترك عاريا[٥١].

وعرف اهل مملكة الحضر استخدام الشرائط في خياطة القميص والسروال ، ويكون من قماش سميك ومزخرف بوحدات هندسية ونباتية واحيانا بصور الالهة ، وفي بعض الأحيان كان السروال مزين بشرائط

متشابهة معه او من الوان منسجمة مع الوان شرائط القميص[٥٢]، وهنا يتضح ان الشرائط كانت موجودة في ملابس كلا الشعبين .

ان مجموعة المنحوتات الكاملة العائدة الى منتصف الالف الثالث قبل الميلاد ، التي عثر عليها في محافظه ديالى تظهر استخدام الوزرة القصيرة المشدودة بحزام سميك، والمزخرفة من الاسفل بأهداب مخصلة كملبس رئيس لهذه المنحوتات ، وتبدو انها قد زينت بأشكال أخرى متنوعة ، حيث تبدو اهداب الوزرة السفلى طويلة جدا ومعمولة بشكل مجسم ، كما ان اسلوب تزيينها يبدو احيانا كانه من المادة نفسها قماش الصوف ، المتخذ منه السومريين الاوائل وزراتهم[٥٣].

ومن خصائص الازار المعيني التي اختلف فيها عن باقي الازر في اليمن القديم انها كانت في شكلها الخارجي ذات مظهر هندسي مربع او مستطيل ، وخطوطها العامة مستقيمه ، وزواياها قائمة او حادة، وفي الوقت نفسه عرف الازار الذي يضيق من منطقه الخصر[٥٤] ، وبمرور الوقت صار الازار مثلث تقريبا في شكله ، فضاق من اعلى واتسع من الاسفل مع المحافظة علي الزوايا الحاده واختفاء الزوايا القائمة في الاسفل ، اما الحواشي فقد امتازت الازر المعينية بحواشي أحاطت بأطرافها ، وعملت على هيئه شريط ضيق ومحصورة بين خطين متوازيين، ويزين عادة بخطوط دقيقه مائله ، وربما تعبر عن نوع من الخيوط (اهداب) او الالوان وربما خيوط مطرزة ، وفي بعض الاحيان كانت الحواشي تزين احد اطراف الازار فقط . اما الزخرفة التي عرفت فيها الازر المعينية فهي ثلاث أنواع ، ظهرت متزامنة خلال القرن الثامن قبل الميلاد وهي عبارة عن اشكال هندسية قوامها صف من المستطيلات في احد اضلاعها بروز صغير ، ومحزوزة من الداخل بخطوط مائلة متقاطعة مع بعضها ، وظهرت هذه على مآزر مدينة نشان اليمنية ، والنوع الثاني زخرف بالتقليم او الخطوط الراسية المتوازية [٥٥]، والنوع الثالث والأخير فهو الزخرفة بخطوط افقية وزكزاكية ذات زوايا حادة[٥٦]، وخلت الازر المنحوته على التماثيل من الزخارف عدا التعبير عن بعض الحواشي (المهدبة)[٥٧].

ذكر (باعليان) ان الازر والقمصان المكتشفة في مدينة نشان والمزخرفة بالأشكال الهندسية اختلفت عن ما هو مألوف على مظهر اللباس اليمني آنذاك ، وهي متأثرة وتنتمي الى مجموعة الزخارف الاشورية والبابلية العائدة في جذورها الى الالفين الثالث والثاني قبل الميلاد [٥٨]، وان لباس الرجال في القرن الثامن قبل الميلاد في مملكة انشان مزدحم بالزخارف بأشكال هندسية مستطيلة ، شغلت بالخطوط المتقاطعة وارتدائهم للحلي ، هذه جميعها تعود الى الفن الاشوري[٥٩] ، كما ازدحمت في العراق القديم ملابس الالهة والملوك بوحدات زخرفية وتطريزية ، إضافة الى عناصر تجميلية عادة ما تكون من الذهب او الأحجار الكريمة [٦٠].

واستخدم الازار من قبل المحاربين او الجنود في اليمن القديم ، اذ ظهر ذلك واضحا على النصب المعينية[٦١]، الخاصة بمحارب يمسك بيده رمحا وبالأخرى درعا صغيرا مستدير الشكل ، ونوع من الازار الذي يرتديه ذلك المحارب هو النوع الثالث الضيق من الأعلى عند الخصر ومتسعا من الأسفل ، وزين بعدة خطوط راسية غائرة[٦٢] ، اما عند السومريين فهناك ما يعرف بين المختصين براية او علم اور ، فيه او فيها منظر لجنود يرتدون الازار ، ومعه رداء فضفاض وطويل يتدلى على الكتفين ويثبت بكلاب [٦٣]، يعود تاريخ

(راية اور) الى (٢٥٠٠ق.م) ، وهي تمثل جانبين احداهما مشهد للحرب ، فيه عربات وجنود مشاة واسرى وعمال ، والجانب الاخر يمثل مشهد للسلام ، وفي كلاهما وجد السومري يرتدي الازار[٦٤]. وهذا يعني ان السومري لبس الازار في الحرب قبل المعيني ، كما انه عد الملبس الرئيس والأول عند الطرفيين .

ذكر هيرودتس (٤٨٤- ٤٥٥ق.م) ان العرب لبسوا قطعة طويلة من القماش اطلقوا عليها تسمية زيرة (Zeira) وهي تحريف للفظة العربية الازار ، كما يكمل فيذكر من جديد انهم كانوا يشدون فوق الازار نطاقا ، وعلى كتفهم الأيمن قوسا [٦٥]،وهذا دليل واضح على ارتداء الازار من قبل المقاتلين العرب في الحروب .

أشار (جواد علي) الى ان (العراق كان يصدر الازر الى شبه جزيرة العرب)، وعرفت بين العبرانيين بـ (ازر شنعار) ، وهي تسمية عبرية اطلقت على بلاد بابل ، كما ذكر ان اليمن القديم اشتهرت كذلك بصنع الازار [٦٦]، يمكن القول ان ملابس العراق القديم لم تكن مقتصرة على اهل البلاد فقط بل نقلت الى خارجه، فساهمت بذلك التجارة في نقل الفصالات والقصات الجديدة بين الشعوب الساكنة في شبه جزيرة العرب وما جاورها، وهذا الشيء سنتناوله عند ذكر تجارة الملابس ، كما جاء استخدام الازار في الحضارتين في السلم والحرب.

٢- الحزام

عرف في العراق القديم الحزام رمزا لأول قطعة لبسها الانسان ، كما انه قدم قربانا للإلهة العراقية القديمة ، وعد حزام الالهة عشتار لباسا مقدسا ، وعند السومري رمزا للقوة ، وهو الأساس الأول الذي تطور منه الازار ، وكان يستخدم لتعليق الأدوات الضرورية للعمل والصراع والحرب ، وتم زخرفة احزمة الالهة والملوك في العراق القديم ، بوحدات زخرفية مصنوعة من مواد أولية متنوعة منها الجلود والصوف والكتان ، وعلقوا فيه اختامهم الاسطوانية ، ثم بمرور الوقت اخذت الاحزمة صفة الزينة ، اذ اضيف للحزام في أوقات كثيرة شريط عريض فوقه لحمل السيف ، ويوصل الى ما فوق الكتف مثل الوشاح ، وتتدلى منه أحيانا بعض الشرائط [٦٧].

وفي اليمن فتعود اقدم اشكال المحازم فيه الى المدة الواقعة بين الالف الثالث والثاني قبل الميلاد ، وجاء على النصب الحجرية بعدة أنماط ، منها ما مثل على شكل شريط او خط بسيط يقطع وسط الجسم ، ومن تماثيل تعود الى العصر البرونزي البدائية نجد الحزام بخط واحد او مزدوج [٦٨]، الا ان اقدم نماذج احزمة العصور التاريخية الظاهرة على التماثيل والجدران جاءت من معين ، الذين استخدموا أهلها في ملابسهم احزمة من القماش [٦٩]، وكان يشد ويعقد خلف الظهر او الخاصرة ، وسمي بالحقو [٧٠].

عرف السبئيون لبس الحزام ، الذي كان من القماش او الجلد ، بعد برمه وضفره ، كما ان هناك حزام على هيئة شريط طويل يدل مظهره على انه قد صنع من القماش السميك [٧١]،يلتف حول وسط البدن لفتين ويعقد خلف الظهر بعقدة يتهدل طرفاها الى الاسفل ، وعرف القتبانيون الاحزمة ذات الأشرطة ، وبعض التماثيل ادمجت عليها حواف الازار العليا مع سطح البدن فجاء الخصر مسطحا دون حزام . وهناك المحازم الاوسانية ، نسبة الى مملكة اوسان ، لا سيما تلك التي خصت الملوك ، فكانت عبارة عن شريط مزين بخطوط

رأسية متراصة بجوار بعضها ، ربما تعبر عن قطع من المعدن الثمين ، كما عثر على ابزيم من الفضة [٧٢]، مزين بزخارف نباتية من الاغصان الملتفة والكتابات المسندية ، وهو مكون من قطعتين مستطيلتين يرتبط كل طرف منها باطراف الحزام ، وعرف الزنار عند اليمنيين القدماء [٧٣]، وهو محزم من قماش يحتزم به ويعقد من الامام بعقدة يتدلى طرفها بشكل متقاطع [٧٤].

استخدم رجال مملكة الحضر الاحزمة اكثر من النساء وبمختلف الأنواع ، ومنها ما استخدمه عامة الناس، وهو عبارة عن قطعة بسيطة من القماش ، كانت مزخرفة وعريضة عند أولئك الذين يربطونها وسط اجسامهم ، بمثبت من حلقة معدنية او بقطعة من الحجر الثمين [٧٥]، وهو مشابه الى ما ذكرناه سابقا عند اليمانيين ، في تماثيل ملوكهم ، وهي قطعة الابزيم التي تربط طرفا الحزام [٧٦] ، ويتوضح على تماثيل مملكة الحضر تلك الزخارف الجميلة ، التي وجدت على احزمة الحضريين ، وبعض منها كان مستطيل الشكل واطرافه ذات زوايا مستديرة [٧٧]، وهناك من ذكر ان الحضري تمنطق بحزام من سفيفة او سير ، وميزت الطبقة العليا بتلك الاحزمة المربوطة أطرافها بالمعادن (الحياصية) المثبته على شريط من الجلد او بسلاسل ، وكثيرا ما كانت نقوش هذا النوع منسجمة مع النقوش الموجودة على القميص او السروال ، واحيانا تتألف من أقراص وفي داخلها صور لالهة او حيوانات وأخرى من قطع ذات نقوش هندسية [٧٨]، ويلاحظ على ملابس اهل الحضر من زخارف وفصال تشابهها الواضح مع الملابس اليونانية ، الا ان ذلك لا يعني اختفاء الأزياء العراقية القديمة ، أزياء البابليين والاشوريين ، اذ لا بد انها ظلت في الاستخدام في القرى والارياف وبين الطبقة العامة [٧٩].

مما سبق يتبين ان الحزام كان موجودا عند الجانبين ، وجاء استخدامه اول الامر لحاجة ضرورية هي تعليق الأدوات الخاصة بالصيد او الحرب ، ثم تحولت في المجتمعين الى مظهر من مظاهر الزينة والاناقة ، وتم صنعه من مختلف المواد الي جادت فيها الطبيعة على البلدين من جلود وقماش ، واضيف له قطع من المعادن عرفها اهل اليمن القديم وسكان مدينة الحضر في العراق القديم .

٣- لباس الراس

عد اول ما وضع على الراس في العراق القديم هو رمزا للزعامة ، ووضع على الراس خلال الاحتفالات الخاصة بالزواج نبات اخضر للزينة ، وعندهم التاج ولباس الراس من الرموز المقدسة ، فهي بالأصل خاصة بالالهة ، وعرف السومريون والاكديون والبابليون والاشوريون مختلف أنواع البسة الراس ، ومنها العمة والطاقية ، ومنها ما هو مزخرف ومزين بالأحجار الكريمة ، ولا سيما ما كان يخص الملوك والالهة [٨٠].

ووضع كوديا حاكم مدينة لكش على راسه لفة من القماش ، مدورة ومزينة بوحدات زخرفية ، وهي مقاربة ومألوفة من تماثيل ملوك الشرق القديم ، وفيما بعد لبس اورننكرسوا ابن كوديا على راسه طاقية (تعرف اليوم باللفظة التركية عرقجين) مزخرفة وذات قماش سميك ، وفي العصر البابلي القديم (٢٠٠٦-

١٥٩٥ ق.م) صنعت اغطية الراس من الجلود ، كما اهتم الاشوريون بلباس الراس كثيرا ، واختلفت بين الملوك والوزراء وقادة الجيش حسب منزلتهم [٨١].

اما اليمن القديم فقد اختلفت وتعددت اغطية الراس من حيث شكلها والمادة الخام المصنوعة منها ، وكان ذلك حسب المكانة الاجتماعية والاقتصادية للفرد ، ومنها الخوذة التي ظهرت عند المعينين ، وهي تعود الى القرن الثامن قبل الميلاد ، وهي مقرنة يعلوها قرنا ثور ، معقوفان يشبهان شكل الهلال [٨٢]، وضعت على راس اشخاص يرتدون الازار، وهي شبيهة بما جاء على رؤوس الالهة العراقية القديمة ، اذ مثلت بشخص يلبس غطاء راس بقرون ثور[٨٣]، وقدمت الاختام الأسطوانية من العراق القديم الكثير من الصور التي مثلت فيها الآلهة وهي تحمل القرون ، كما وضع نرام سين (٢٢٩١- ٢٢٥٥ ق.م) على راسه الخوذة المقرنة ، وذلك حسب ما جاء في مسلة النصر التي خلد فيها هذا الملك انتصاراته على اعداءه [٨٤].

كما لبسوا اهل اليمن القديم استنادا الى ما وجد على جدران معبد نشان بالجوف (الطاقية) ، وقد زينت سطوحها بالحزوز المتقاطعة ، كما ارتداها السبئيون ، وهي المعروفة في العراق القديم ، اذ وضعت على رؤوس الالهة السومرية ، وكذلك وجدت على تماثيل مملكة الحضر[٨٥] ، ويطرح عبد الحليم نور الدين رايا ذكر فيه ان ما وضع على راس التماثيل اليمنية الذي يشبه الطاقية هو تماثل لما موجود على التماثيل العراقية القديمة ، وهو يثير قضية الاحتكاك الحضاري بين العراق القديم واليمن القديم [٨٦].

مما سبق يتبين ان العراقي القديم واليمني القديم قد استخدم غطاء الراس بأنواع مختلفة ، وفي كل من المجتمعين كان للتميز بين الطبقات الاجتماعية للأفراد ، كما ان هناك أنواع متشابهة موجودة عند الجانبين مثل الخوذة المقرنة والطاقية .

٤- الملابس الجلدية :

كانت الجلود المادة الأولية المستخدمة في صناعة الملابس، حيث ان الإنسان القديم كان بحاجة إلى لباس يقي فيه نفسه وزوجته وأطفاله من البرد ، واستخدمت جلود الأغنام والماعز من قبل السومريين في صناعة الملابس ، بعد تحضيرها وجعلها ملائمة [٨٧]، كما وردت الملابس الجلدية في النصوص المسمارية في اللغة السومرية بلفظة (Kus-Lu-Gu-E-A) أما في اللغة الأكدية فاطلق عليها (Mask-na-ah-la-pa-tum) [٨٨].

ومن بين الملابس الجلدية التي عرفت في العراق القديم تلك التي كانت خاصة بالحرفين ، مثل ملابس الحداد، المتميزة بالسمك بعض الشيء، لأنه يتعامل مع النار ويحتاج في ذلك إلى ملابس مقاومة للحرارة ، كما استخدم الجلد الخفيف في صناعة الملابس النسائية عند الاشوريين ، اذ كان يدخل في صناعة حمالات الصدر ، وارتدى الكهنة الجلد في الاحتفالات الدينية [٨٩]، ولبست بغايا المعبد المحرومات من الحشمة سترة صنعت من الجلد للفت الانتباه[٩٠].

اما اليمن القديم فقد استخدمت الجلود أيضا في صناعة الملابس ، اذ ذكر المؤرخ هيرودتس (٤٨٤-٤٥٥ق.م)[٩١] ان الجنوبيين سكان شبه الجزيرة العربية كانوا يرتدون جلود الماعز والثيران عند جمعهم لنبات القرفة ، كما أظهرت التماثيل صور لرجال تدثروا بجلود على ابدانهم ، ومنهم (معد بن كرب ايل) الذي وضع جلد الأسد على ظهره ، كما صنعت الخوذة الجلدية لحماية الراس اثناء القتال ، وهناك ما عرف بـ (اليلب) ، وهي دروع يمانية صنعت من جلود الابل توضع على الراس أيضا لا على الجسم [٩٢].

خامسا- تجارة الملابس العراقية القديمة واليمنية القديمة

لعب الجانبان دور كبير في انتاج الملابس وتصديرها الى مناطق مختلفة، واشتهرت منتجاتهم بعدد من المميزات دعت التجار والباعة للأقبال عليها، منذ العصور القديمة الى منتصف الالف الثالث قبل الميلاد ، فالكتابات المسمارية العائدة الى تلك المدة الزمنية ذكرت دور مدينة لكش في صناعة الملابس وتصديرها الى دلمون . كما كانت الملابس والانسجة المصنعة في العراق القديم معروفة في المناطق الاخرى ، وتجارتها لم تكن تقتصر على بلاد الرافدين فقط بل امتدت نحو الخليج العربي ومناطق الهند[٩٣]، والمرجح ان منتجات العراق القديم وصلت اليمن من هذه المناطق ، اذ ذكر ان جنوب العراق كان مصدرا لتصدير التمور والأرجوان والملابس والخمر والذهب والرقيق الى اليمن بواسطة ميناء الأبلة واومانا [٩٤].

وكان للمستعمرات الاشورية في اسيا الصغرى اثر كبير في بيع المنتجات العراقية القديمة من الملابس والمنسوجات في تلك البقاع من العالم ، سواء ما كان يصنع في بلاد اشور او في بلاد بابل ، وكانت الملابس حفاظا عليها من التلف توضع عند نقلها في اكياس او تشد في اقمشة اخرى[٩٥] ، وهذا دليل واضح على رواج صناعة الملابس وتجارتها في بلاد الرافدين .

اما (جواد علي) فذكر ان الملوك وطبقة الاغنياء والكهنة استوردوا ملابسهم من مناطق مشهورة من العالم القديم ، عرفت بجودة صناعة الملابس واتقانها ، مثل بابل وبلاد الشام وغيرها من الاماكن ، كما جاء من العراق والشام في العصور السابقة للأسلام الجبب والأردية والقمصان ، المعروفة بغلائها وجودتها فضلا عن ارتفاع قيمتها عند العرب ، كما عرف الحرير (الخسرواني) بين سكان شبه الجزيرة العربية القدماء ، واسمه يدل على استيراده من العراق ، وتعد ثياب الحيرة عاصمة المناذرة في العراق من الثياب الغالية والجيدة ، التي لبسها الاغنياء والسادة [٩٦].

اما اليمن القديم فقد اشارت المصادر التاريخية الى ان أهله مارسوا التجارة بفرعيها الاستيراد والتصدير، ولعبت في ذلك دورا كبيرا حاجة البلاد وظروفها الاقتصادية ، ومن ذلك تصديرهم المنسوجات والملابس المختلفة الى خارج بلادهم ، كما ذكرت كتابات هيروغليفية مصرية مفادها استيراد مصر القديمة للكتان من العربية الجنوبية او بلاد (بونت) ، وخلال القرن الثامن قبل الميلاد وصلت تجارة اهل اليمن الى العراق القديم ، وذلك استنادا الى ما جاء في نص مسماري يعود الى سنة (٧٦٠ ق٠م)، يصف قدوم تجار من سبأ وتيماء يحملون الصوف المصبوغ بالأزرق ومواد اخرى ،كما وصلت الأقمشة اليمنية الى اسواق البحر المتوسط ، اذ جاء في سفر حزقيال في الصحاح الخاص برثاء سقوط مدينة صور التقاء تجارة سبأ واشور

محملين ببضائعهم في مدينة صور ، من بينها الملابس الفاخرة المطرزة (**تجار شبأ واشور وكلمد يتاجرون معك ، يتاجرون معك بالثياب الفاخرة**)[٩٧] من هذا النص نستدل على اختلاط التجار الآشوريين مع تجار اليمن القديم ، وهذا بدوره سيعمل على الأمتزاج الحضاري والثقافي بين شعوب وبلدان الشرق الأدنى القديم ٠

عند نهاية الألف الأول قبل الميلاد اضطربت الأوضاع السياسية في اليمن القديم ، وانعكس ذلك بدوره على اضمحلال تجارة المنسوجات اليمنية ، واستيراد كميات من الأقمشة عبر موانئ اليمن خلال القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الأول الميلادي ، واشارت المصادر الكلاسيكية الى دخول الملابس الى اليمن عن طريق الموانئ الواقعة على المحيط الهندي والبحر الأحمر، ومنها تلك الملابس المصبوغة باللون الارجواني والمزخرفة والمطرزة[٩٨] وقد عرف البابليون والآشوريون ومن قبلهم السومريين استخدام اللون الأرجواني، وهو عندهم يدل على الرفعة والقوة٠كما كانت أزياء الملوك مطرزة ومزخرفة بدقة عالية ، وتم ارتدائها حتى في رحلات الصيد والتنزه[٩٩] .

اشتهرت منسوجات اليمن في كل مكان من شبه جزيرة العرب بجودتها وأناقتها، كما بقيت محافظة على سمعتها، فنسمع عن تفاخر أغنياء الحجاز وغيرهم من سكان شبه جزيرة العرب في الحصول عليها ولبسها في اعيادهم ومواسمهم [١٠٠].

وفي كلا من العراق القديم واليمن القديم احتكرت السلطة وفرضت سيطرتها على مصانع النسيج وصناعة الملابس ، ففي العراق القديم اشتهرت مدينة أريدو وأور باعتبارهن مراكز مهمة في صناعة الملابس والنسيج ، وكانت الورش الموجودة تابعة اداريا وأقتصاديا الى المعبد ، وبعض منها تابع الى الملك ، وهناك من قطع الملابس ما عرف بأسماء الملوك ، كما وجدت ايضا ورش محلية صغيرة تابعة الى العوائل ، تنسج حسب الطلب[١٠١] .

أما في اليمن القديم فقد ذكرت دور النسيج في خطه المسند بـ (ت ع م ت) أما تلك التابعة للملوك فهي (ت ع م ت / م ل ك ن)[١٠٢] وهناك إشارات عديدة الى دور الحياكة والنسيج الملكية جاءت في الخط المسند ، اذ نافس ملوك اليمن وشاركوا الشعب في امتلاك دور النسيج ونافسوهم في الإنتاج[١٠٣] ، ويعد المنتوج الحكومي من افضل ما تنتجه المناسج ويتم عرضه في الأسواق ، كما ان هذا المنتج كان يحمل شعار الحكومة أو الحاكم ، وخصص بعض من انواع النسيج لاستعمال الملوك أو لتقديمه الى الأمراء والكبراء ورجال الدين[١٠٤]٠ كما كان هناك مناسج شعبية في اليمن القديم جنبا الى جنب المناسج التابعة للدولة ، اذ كانت هذه الورش المحلية تمد الأسواق بما تحتاجه من الملابس والأقمشة ، وتصدر الفائض منها الى خارج اليمن[١٠٥]٠

من الواضح ان الهدف من سيطرة الحكومة والمعبد على هذه الصناعة المهمة هو ما كانت تدره من ارباح وفوائد، فهي من اهم الصناعات في المجتمع [١٠٦]، بل نجد الملك في العراق القديم يشارك رجال المعابد من الكهنة في الأشراف على عمليات جز صوف الأغنام الداخلة في صناعة النسيج ، وذلك عائد الى المردود الاقتصادي ، الذي تدره صناعة الملابس والنسيج[١٠٧] ٠

مما سبق يتوضح أن (العراق القديم واليمن القديم) قد اشتهرا بإنتاج الملابس والنسيج ، وتعد منتجاتهم من أشهر ما موجود في الشرق الأدنى القديم ، كما انها وصلت الى مناطق متعددة من الخليج العربي وبلاد الشام ، وحظيت هذه الحرفة والسلعة بدعم وأسناد من قبل السلطة الحاكمة في كلا البلدين ، بل وصل الأمر الى سيطرة الحكومة والمعبد عليها وذلك لأهميتها الاقتصادية ٠وهذا التشابه يعود الى طبيعة المجتمع العراقي واليمني القديم المعتمدان على الزراعة وتربية الحيوانات ، للاستفادة من لحومها وأصوافها وجلودها ، وهو من الممكن ان يكون السبب وراء استخدام او تشابه بعض الملابس في اشكالها ومواد صناعتها .

الخاتمة

ومن اعلاه يمكن القول ان هناك صلات حضارية بين بلاد الرافدين وبلاد اليمن القديم ، وقد دلت المعطيات الاثارية والمصادر الأدبية على ذلك ، سواء كانت هذه الصلات بشكل مباشر او غير مباشر، وكان التأثر والتأثير متبادل بينهما ، وليس في مجال صناعة الملابس بل في كل المجالات الأخرى، وبكل هدوء على مدد طويلة من الزمن ، وان التشابة والتماثل في صناعة الملابس يمكن ان نرجعه الى الامتزاج الحضاري الشرقي، والتاثير العام للحضارة الرافدينية على العالم القديم ، فضلا عن البيئة الجغرافية ، فكلا البلدين ذات اقتصاد زراعي، وهذا الاقتصاد اجاد بالمواد الأولية لصناعة الألبسة الجلدية او الكتانية او القطنية.

هوامش البحث

(١) طه باقر ، علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب ، بحث من (كتاب دراسات وبحوث طه باقر المنشورة في مجلة سومر) ، اعداد : حيدر قاسم التميمي (بغداد : بيت الحكمة ، ٢٠٠٩م) ج١ ، ص ٣٩٤.

(٢) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط٢ (بغداد : شركة التجارة والطباعة المحدودة ، ١٩٥٦م) ج٢ ، ص ١٩٣.

(٣) علاقات بلاد الرافدين ، ص ص ٤٠٨-٤٠٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ص ٤٠٩-٤١١.

(٥) اسمهان سعيد الجرو ، الموانئ العمانية القديمة ومساهمتها في التجارة الدولية في ضوء المصادر الكلاسيكية (اليونانية والرومانية) ، مجلة (الخليج للتاريخ والاثار) العدد : ٥ ، (جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ،٢٠١٠م) ص ١١٧.

(٦) باقر ، علاقات بلاد الرافدين ، ص ص ٤٠٩-٤١١.

(٧) الجرو ، الموانئ العمانية ، ص ١٢٦ .

(٨) باقر ، علاقات بلاد الرافدين ، ص٤١٢.

(٩) محمد بيومي مهران ، دراسات في تاريخ العرب القديم (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ،١٩٧٧م) ص ٢٦٥؛ عارف احمد إسماعيل ، العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية منذ منتصف الالف الثالث قبل الميلاد وحتى منتصف الالف الأول قبل الميلاد (صنعاء : مركز عبادي للدراسات والنشر ، ١٩٩٨م) ص ص ٦١-٦٢ .

(١٠) علاقات بلاد الرافدين ، ص٤١٨.

(١١) إسماعيل ، العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية، ص ١١٠ .

(١٢) باقر ، علاقات بلاد الرافدين ، ص ٤١٩ .

(١٣) نينورتا -كودري-اوصر : حاكم إقليم سوخي وماري ، يعتقد بانه حكم هذه المناطق زمن حكم الملك الاشوري ادد نراري الثالث (٨١٠ -٧٨٣ ق.م) وتجلاتبليزر الثالث (٧٤٤-٧٢٧ ق.م) ما يقارب سبع سنوات ، له العديد من الاعمال العمرانية والأمنية في المنطقة الغرض منها تامين طرق التجارة .(بهيجة خليل إسماعيل ، نصوص نينورتا -كودري-اوصر حاكم سوخي وماري ، مجلة (سومر) ، العدد ٤٢ (بغداد : دائرة الاثار ، ١٩٨١م) ص ٨٨.

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٨٨ .

(١٥) إسماعيل ، العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية، ص ١١٠ .

(١٦) للمزيد عن ما ذكره الاشوريين والبابليين في كتاباتهم عن العرب الجنوبين (انظر : باقر ، علاقات بلاد الرافدين ، ص ص ٤٢٥-٤٢٩ ؛ منذر عبد الكريم البكر ، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام تاريخ الدول الجنوبية في اليمن (البصرة : مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٠م) ص ص ١٥-٢١) .

(١٧) إسماعيل ، العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية ، ص ص ١١١-١١٢.

(١٨) علاقات بلاد الرافدين ، ص ص ٤٢٢-٤٢٣ .

(١٩) إسماعيل ، العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية ، ص١٢١ ؛ فاروق إسماعيل ، اللغة اليمنية القديمة (تعز : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠م) ص ١٠٤.

(٢٠) باقر ، علاقات بلاد الرافدين ، ص ٤٢٥.

(٢١) العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية ، ص ص ١٢١-١٢٢.

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ص ١١٩-١١٨.

(٢٣) جواد مطر الموسوي ، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم (الشارقة : دار الثقافة العربية ، ٢٠٠٢م) ص ٢٩١.

((٢٤)) نقش النصر : عثر عليه في معبد المقه الكبير في مدينة صرواح ، تأتي أهميته من انه اقدم نص مطول يصف أسماء مناطق كثيرة ، وممالك لم تذكر سابقا مثل مملكة اوسان ، ويعطينا صورة واضحة عن الأوضاع التي سادت في المنطقة الجنوبية من جزيرة العرب في القرن الخامس قبل الميلاد ، ويخلد فيه كرب ايل وتر انتصاراته العديدة والواسعة وحدود ممتلكاته . للمزيد من التفصيل انظر : محمد عبد القادر بافقيه ، تاريخ اليمن القديم (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥م) ص ص٥٧-٥٨ .

(٢٥) للاطلاع على اعمال كرب ايل وتر انظر : المصدر نفسه ، ص ص ٥٧-٧١.

(٢٦) إسماعيل ، العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية ، ص ص ١١٣-١١٤.

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ص ١١٦-١١٧ .

(٢٨) وليد الجادر ، الأزياء والاثاث ، بحث من موسوعة (حضارة العراق) ج ٤(بغداد : دار الحرية للطباعة ،١٩٨٥م) ص ص ٣٣٦-٣٣٧ .

(٢٩) يحيى الجبوري ، الملابس العربية في الشعر الجاهلي (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٩م) ص ٢٦ .

(٣٠) الموسوي ، الميثولوجيا والمعتقدات الدينية ، ص ٢٤٤.

(٣١) محمد عوض منصور باعليان ، الملابس في اليمن القديم دراسة من خلال التماثيل والاثار (عدن : دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠١٣م) ص ٣٠ .

(٣٢) الجبوري ، الملابس العربية ، ص ٢٢-٢٣ .

(٣٣) دانيال تي بوتس ، حضارة وادي الرافدين الأسس المادية ، ترجمة : كاظم سعد الدين (بغداد : الهيأة العامة للاثار والتراث ، ٢٠٠٦م) ص ١٤٨.

(٣٤) رشا عبد الوهاب ، الصوف في العراق القديم ، مجلة (سر من رأى) العدد : ٤٣ (صلاح الدين : جامعة سامراء ، ٢٠١٥م) ص ٢٦٣ .

(٣٥) للمزيد انظر : هاري ساكز ، عظمة بابل ، ترجمة : عامر سليمان(لا بلدة : دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٩م) ص٢٠٨ .

(٣٦) الجادر ، الأزياء ، ص ٣٣٧.

(٣٧) سلامة النعيمات ومحمود عدوي ، المواد الأولية التي كانت تصنع منها الملابس ومصادرها عند العرب في شمال الجزيرة العربية ووسطها ، ، مجلة (دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية) مجلد ٢٧ ، العدد ٢ (عمان : الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٠م) ص ٣١٧.

(٣٨) سورة النحل : ٨٠ .

(٣٩) باعليان ، الملابس ، ٢٨.

(٤٠) الجادر ، الأزياء ، ص٣٣٨.

(٤١) المقدمة ، ج ١ ، ص٥٢٠.

(٤٢) باعليان ، الملابس ، ص ٢٩.

(٤٣) الجادر ، الأزياء ، ص ص ٣٤١-٣٤٣.

(٤٤) باعليان ، الملابس ، ص ص ٣١-٣٢.

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ص ٣١-٣٤ .

(٤٦) الجادر ، الأزياء ، ص ٣٤٠ .

(٤٧) سعدون الساموك ، الأزياء العربية عبر التاريخ ، مجلة (المؤرخ العربي) العدد ٢٥ (بغداد :اتحاد المؤرخين العرب، ١٩٨٤م) ص ص ١٣٨-١٣٩ .

(٤٨)باعليان ، الملابس ، ص ص ٦٨-٦٩.

(٤٩)الجادر ، الأزياء ، ص ص ٣٢٤-٣٢٥.

(٥٠) باعليان، الملابس، ص ص ٦٩-٧٠.

(٥١) المصدر نفسه ، ص ص ٦٩-٧٠.

(٥٢) الجادر ، الأزياء ، ص ٣٧٤. انظر الشكل رقم (٩).

(٥٣) المصدر نفسه ، ص٣٢٨.

(٥٤) انظر الشكل رقم (١)

(٥٥) انظر الشكل رقم (١) .

(٥٦) انظر الشكل رقم (٢) .

(٥٧) باعليان ، الملابس ، ص ص ٧٤-٧٥.

(٥٨) انظر الشكل رقم (٣) .

(٥٩) الملابس ، ص ١٢٣.

(٦٠) الجادر ، الأزياء ، ص ٣٣٤.

(٦١) انظر الشكل رقم (٢) .

(٦٢) باعليان ، الملابس ، ص ٧٢.

(٦٣)ساكز ، عظمة بابل ، ص ٢٠٨.

(٦٤) زهير صاحب ، اغنية القصب ، دراسة في الحضارة السومرية (بغداد : دار الجواهري ، ٢٠١١م) ص١٧٣.

(٦٥) نقلا عن عبد العزيز حميد صالح ، صور من البسة العرب في العصر الجاهلي ، مجلة (سومر) العدد : ٣٨ (بغداد : دائرة الاثار والتراث، ١٩٨٢م) ص ١٥٢.

(٦٦) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٢(بيروت : بلا مطبعة ، ١٩٩٣م) ج٧، ص ٦٠٩ .

(٦٧) الجادر ، الأزياء ، ص ص ٣٢٤ ، ٣٣٥ -٣٣٦ .

(٦٨) انظر الشكل رقم (٤) .

(٦٩) انظر الشكل رقم (١) .

(٧٠) باعليان ، الملابس ، ص١٢١.

(٧١) انظر الشكل رقم (٥) .

(٧٢) انظر الشكل رقم (٦) .

(٧٣) انظر الشكل رقم (٧) .

(٧٤) باعليان ، الملابس ، ص ص ١٢١-١٢٢.

(٧٥) الجادر ، الأزياء ، ص ٣٧٥.

(٧٦) انظر الشكل رقم (٦) .

(٧٧) انظر الشكل رقم (٩) .

(٧٨) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ، الحضر مدينة الشمس (بغداد :وزارة الاعلام ، ١٩٧٤م) ص ٥٧.

(٧٩) المصدر نفسه ، ص ٥٥.

(٨٠) الجادر ، الأزياء ، ص ص٣٤٨-٣٥٨.

(٨١) المصدر نفسه ، ص ص ٣٥٦-٣٥٩ ؛ للمزيد عن اغطية الراس الاشورية انظر : وليد الجادر ، المناصب والازياء العسكرية الاشورية ، بحث من موسوعة (الجيش والسلاح) ج٢ (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٨م) ص ٢٤١.

(٨٢) انظر الشكل رقم (٨) .

(٨٣) باعليان ، الملابس ، ص ص ١٠٩، ١٢٤ .

(٨٤) للمزيد انظر : الأزياء البابلية (بغداد : مديرية الاثار العامة ، ١٩٦٨م)

(٨٥) باعليان ، الملابس ، ص ص ١٠٩، ١٢٤ .

(٨٦) ملامح الفن اليمني القديم (رسم ، نحت ، نقوش) مجلة (اليمن الجديد) العدد : ٧ (صنعاء: وزارة الاعلام ، ١٩٨٥م) ص١٠٢.

(٨٧) الجادر ، الأزياء ، ص ٣٢٥.

(٨٨) شذى بشار الصوفي ، دباغة الجلود وصناعتها في بلاد الرافدين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الاثار (الموصل : جامعة الموصل ، كلية الاداب ، ٢٠٠٤م) ص ص ٧٨-٧٩.

(٨٩) المصدر نفسة ، ص ص ٨٠-٨١.

(٩٠) هاري ساكز، قوة اشور ، ترجمة : عامر سليمان (بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٩٩م) ص ٢١٧.

(٩١) هيرودتس ، تاريخ هيرودتس الشهير، ترجمة :حبيب أفندي (بيروت: مطبعة القديس جارجيوس، ١٨٨٦م) الكتاب الثالث ، الفقرة :١١٠ .

(٩٢) باعليان ، الملابس ، ص ص ٦١-٦٢.

(٩٣) الجادر، الازياء ، ص٣٣ ٠

(٩٤) جواد مطر الموسوي ، مقومات التجارة في اليمن القديم ، مجلة (الكوت للعلوم الاقتصادية والإدارية) العدد ١ (واسط : جامعة واسط ،٢٠٠٩م) ص١١.

(٩٥) سامي سعيد الأحمد ، المستعمرة الاشورية في اسيا الصغرى ، مجلة (سومر) العدد ٣٣ (بغداد : دائرة الاثار والتراث ، ١٩٧٧م) ص ص٧٩-٨٠

(٩٦) المفصل ، ج٧، ص ص ٥٩٩ ، ٦٠٢ ، ٦٠٤ ٠

(٩٧) ٢٧ : ٢٣ -٢٤ ؛ اسماعيل ، نصوص ننورتا ، ص ٨٨ ؛ باعليان ، الملابس ص٣٦ ٠

(٩٨) نقلا عن : باعليان ، المصدر نفسه ، ص ص٣٨ -٣٩ ٠

(٩٩) الجادر ، الأزياء ، ص ٣٤٢ ،٣٤٨ ٠

(١٠٠) علي ، المفصل ، ج ٧ ، ص٣٣٧ ٠

(١٠١) الجادر ،الازياء ، ص٣٣٧ ٠

(١٠٢) الموسوي ، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية ، ص ص ٤٠٠ -٤٠١ ؛ ابراهيم بن ناصر البريهي ، الحرف والصناعات في ضوء نقوش المسند الجنوبي (الرياض : وكالة الآثار والمتاحف ، ٢٠٠٠ م) ص ص ٢٥٢ -٢٥٣ ٠

(١٠٣) علي ، المفصل ،ج ٧ ، ص ٦١٠ ٠

(١٠٤) المصدر نفسه ،ج٧ ، ص ٥٩٩ ؛ البريهي ، الحرف والصناعات ، ص ٢٥٣ ٠

(١٠٥) عليان ، الملابس ، ص٢٣ ٠

(١٠٦) علي ، المفصل ،ج٧ ، ص ٦١٠ ٠

(١٠٧) الجادر ، الازياء ، ص٣٣٧ ٠

الملاحق

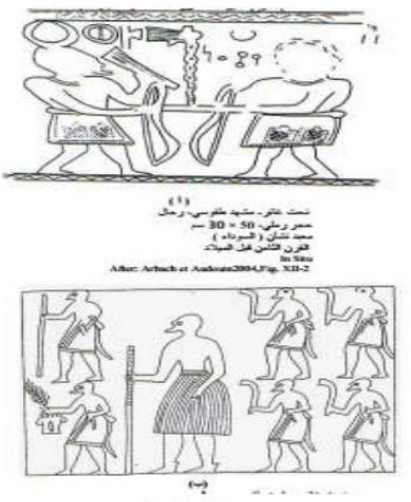

شكل رقم (١)

المصدر : باعليان ، الملابس ، ص ٢٢٥.

شكل رقم (٢)

المصدر : باعليان ، الملابس ، ص ٢٢٦.

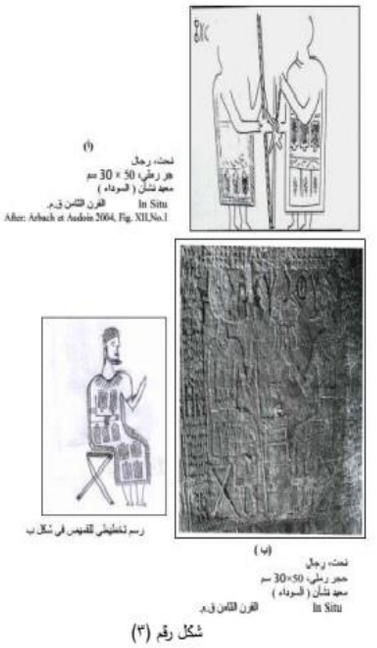

شكل رقم (٣)

المصدر : باعليان ، الملابس ، ص ٢٣٨.

شكل رقم (٤)

المصدر : باعليان ، الملابس ، ص ٢٢٤.

شكل رقم (٥)

المصدر : باعليان ، الملابس ، ص٢٣٠ .

تمثال، رجل
برونز، 8.2 ×2.6سم
وادي مرخة، الألف الثاني ق.م
ATM 330-5
تصوير: GOAM, صنعاء.

شكل رقم (٧)

المصدر : باعلهان ، الملابس ، ص ٢٣٤.

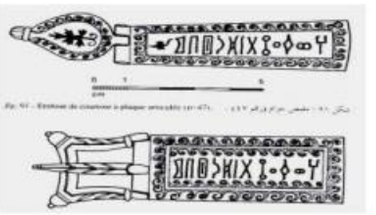

شكل رقم (٦)

المصدر : باعلهان ، الملابس ، ص ٢٣٦.

شكل رقم (٨)

المصدر : باعلهان ، الملابس ، ص ٢٤٨

شكل رقم (٩)

المصدر : فرج بصمجي ، كنوز المتحف العراقي (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٢م)ص ٣٨٨- ٣٩٥

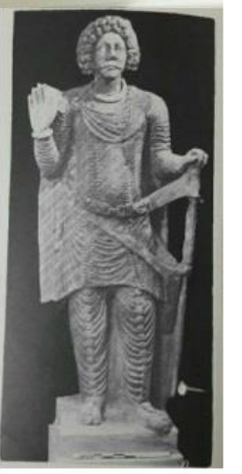

شكل رقم (١٠)

المصدر : احمد سوسه ، تاريخ حضارة وادي الرافدين (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨١م) ج١ ص٤٣٨.